# كلمة قرآن

## عربية أصلاً .. واشتقاقاً ومعنى

**للأستاذ رابح لطفي جمعه**

لم يختلف اللغويون قديماً وحديثاً حول كلمة كاختلافهم حول كلمة « قرآن » ، ولعل السبب فى ذلك أن يكون راجعاً الى ما توهمه البعض من أن العرب فى الجاهلية لم يعرفوا لفظة « قرأ » بمعنى التلاوة ، وحين عرفوها استخدموها بمعنى غير معنى التلاوة : فكانوا يقولون : هذه الناقة لم تقرأ بسلى قط . يقصدون أنها لم تحمل ملقوحاً ولم تلد ولداً . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ذراعى عيطل أدماء بكر هِجان اللون لم تقرأ جنينا

وقد تمثل هذا الاختلاف القديم الجديد فى اتجاهين أساسيين ، أولهما حول الأصل الاشتقاقى للفظة « قرآن » والثانى حول عربية هذا اللفظ .

وفى هذا المقال نتناول هذا الاختلاف باتجاهين، محاولين أن ندلى فيه برأينا

## ○ الأصل الاشتقاقى للفظة قرآن ○

أما بالنسبة إلى الأصل الاشتقاقى للفظة قرآن ، فقد ذهب علماء اللغات فى هذا اللفظ مذاهب شتى ، فهو عند البعض مهموز ، وعند البعض الآخر غير مهموز ، فمن رأى أنه بغير همز الشافعى والفرَّاء والأشعرى .

كذلك قرأ لفظة « القرآن » غير مهموز قارئ أهل مكة المكرمة فى زمانه إسماعيل بن عبد الله ابن قسطنطين آخر أصحاب ابن كثير زماناً . وعن أبى بكر بن مجاهد أنه قال « كان أبو عمر بن أبى العلاء لا يهمز القرآن،وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير » .

ويقول الشافعى : إن لفظ « القرآن » المعرف ليس مشتقاً ولا مهموزاً بل ارتجل ارتجالاً ووضع علماً على الكلام المنزل على النبى ﷺ .

فالقرآن عند الشافعى كما يقول : لم يؤخذ من كلمة « قرأت » ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآناً ، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل .

والمعروف أن التوراة بالعبرية « تورة » مأخوذة من كلمة « هِرْآة » بكسر فسكون بمعنى دلَّ أو هدى ، أو أورى أو أنار وهى اسم لما أنزل على موسى ، أما الإنجيل فمعناه « البشارة » وهو اسم لما أنزل على عيسى عليه السلام ، وهكذا القرآن اسم لما أنزل على النبى ﷺ .

أما الفراء فيقول : إن لفظ « القرآن » مشتق من القرائن جمع قرينة : لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فكأن بعضها قرينة على بعض .

ويقول : الأشعرى ومن تابعه على رأيه : إنه مشتق من قرن الشىء بالشىء إذا ضمه إليه : لأن السور والآيات تقرن فيه ، ويضم بعضها إلى بعض .

**إذاً فالقرآن عند الأشعرى وأصحابه معناه الجمع : لأنه يجمع السور فيضمها بعضها الى بعض . ويقول ابن عباس :**

**« قرأت الكتاب قراءة وقرآناً ، ومنه سمى القرآن : لأنه جمع القصص ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض . ويقول الراغب الأصبهانى :**

**« القراءة ضم الحروف والكلمات إلى بعض فى الترتيل ، يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم أى جمعتهم .**

وغنى عن البيان أن القول بعدم الهمز فى القرآن فى هذه الآراء جميعها بعيد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة ، وبالتالى فإننا نطرح هذا الرأى جانباً .

أما من رأى أن لفظ القرآن مهموز فهما الزجاج واللحيانى ، ويقول الزجاج : إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأ الماء فى الحوض إذا جمعه : لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة .

ويعلل الزجاج قراءة من قرأ كلمة « القرآن » بغير همز بأنه ترك الهمزة من باب التخفيف ، ونقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وهو ما تجيزه اللغة وتخضع له ولا يغير شيئاً من أصول الكلمات ، وعلى ذلك فكلمة القرآن غير المهموزة تساوى كلمة القرآن المهموزة مشتقة من مادة « قرأ » .

أما اللحيانى فيقول إنه مصدر مهموز بوزن الغفران والفرقان مشتق من قرأ بمعنى تلا : سمى به المقروء ، وتسمية للمفعول بالمصدر .

ونحن نميل الى هذا الرأى الأخير : لأنه أقوى الآراء وأرجحها كما سنبين ذلك . فالقرآن فى اللغة إذاً مصدر مرادف للقراءة على وزن فعلان وهو لفظ عربى صريح مادةً وصيغةً ومنه قوله تعالى :

« إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » . ويرى بعض المفسرين أيضا أن قوله تعالى : « الرحمن علم القرآن » أى علم القراءة .

والملاحظ أن كلمتى القرآن والقراءة تزدوجان فى كثير من آى الكتاب الكريم ، قال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وقال « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » وقال « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . وإذاً فإن كلمة القرآن مشتقة من القراءة لا من القرء .

## • كلمة « القرآن » عربية •

**أما الاتجاه الثانى فى اختلاف اللغويين حول كلمة « القرآن » فيتمثل فى عربية هذه الكلمة ، فمنهم من قال إن هذه الكلمة أخذها العرب من أصل آرامى وتداولوها ، إذ وردت القراءة فى الآرامية بمعنى التلاوة ، وقد نادى بهذا الرأى المستشرق « برجشتراسر » حيث قال : إن اللغات الآرامية والحبشية والفارسية تركت فى اللغة العربية آثاراً لا تنكر لأنها كانت لغات الأقوام المتمدينة المجاورة للعرب فى القرون السابقة على الهجرة .**

ويؤكد صبحى الصالح فى كتابه « مباحث فى القرآن الكريم » هذا الرأى ويقول ، إن تداول العرب قبل الإسلام للفظ « قرأ » الآرامى الأصل بمعنى « تلا » كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له فى تسمية كتابه الكريم .

وقريب من هذا الرأى رأى الدكتور طه حسين حيث يقول . إن القرآن ليس شعراً ولا نثراً ولكنه قرآن وأصله بالسريانية « الجهر » أى أنه كتاب يُتلى جهراً أو أنه كتاب جهر به . وظهر بعد أن كان فى طىٌ الخفاء .

وغنى عن البيان أن هذا الرأى هو رأى المستشرقين « شواللى » و« ويلهاوزن » . فقد عارض هذان المستشرقان فى عروبة كلمة القرآن : وقالا ، ان هذه الكلمة مأخوذة من كلمة « قريانى » السريانية وهى بمعنى القراءة أو المقروء . ويقوى هذا الفرض لديهما مقاربة الكلمة السريانية للكلمة العربية فى الصيغة .

ويرى محمد طه الحاجرى أن إنكار المستشرقين لعروبة كلمة « قرآن » وردها الى الآرامية أو السريانية . إنما يرجع الى مزاعمهم فى القرآن أن يصدر عن أصول أجنبية كالتوراة والانجيل . ومن هنا لا يرون بأساً فى أن يكون القرآن قد استعار عنوانه أيضاً من هذه المصادر . أو من اللغة التى كتب بها .

وكما سبق أن ذكرنا أن حجة من أنكر عروبة لفظ القرآن هى عدم ورود مادة القراءة فى نص جاهلى شعراً كان أو نثراً . ولكننا لا نعتقد أن هذه الحجة تنهض دليلا على صواب هذا الرأى : فالثابت عند علماء اللغة العربية أن لغة العرب لم تنته إلينا بحذافيرها . وإنما الذى جاءنا من العرب غيض من فيض . وقد ذهب كثير من الكلام شعراً ونثراً بذهاب أهله . وفى ذلك يقول ابن فارس « ذهب علماؤها أو أكثرهم إلى أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل . ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

واذاً فإن عدم ورود مادة قرأ وقراءة فى نص جاهلى لا يدل دلالة قاطعة على عدم وجود الكلمة فى اللغة العربية . فليس منكوراً ـ كما يقول المرحوم محمد لطفى جمعه فى كتابه « ثورة الاسلام وبطل الأنبياء » ـ أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تجارة . وكانت مكة بصفة خاصة مركزاً من المراكز التجارية الكبرى . فكانت الكتابة شائعة فى مكة أكثر منها فى المدينة : لأن أهل المدينة كانوا مشغولين بالزراعة . وبديهى أن الحياة التجارية والمعاملات التجارية تعتمد إلى حد كبير على الكتابة ولا كتابة بغير قراءة .

وتدل النصوص الجاهلية نفسها على أن العرب قد اتخذوا الكتابة لا فى الوثائق التجارية فحسب . بل فى عقد المحالفات بين القبائل المختلفة وأشهرها فى الجاهلية حلف الفضول . الذى حضره النبى ﷺ فى شبابه قبل بعثه فى دار عبد الله بن جدعان . كذلك حلف ذى المجاز .

وقصة « **صحيفة المتلمس** » أشهر من أن تروى . وهى واقعة حدثت فى الجاهلية ، فيروون أن عمرو بن هند ملك الحيره كتب لطرفة بن العبد صاحب المعلقة المعروفة باسمه ولخاله المتلمس كتابين إلى عامله على البحرين وعمان ، فلقيا فى طريقهما غلاماً يرعى غنيمة ولما علما منه أنه يحسن القراءة فض المتلمس كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فإذا به أمر بقطع يدى المتلمس ورجليه ودفنه حياً فقال المتلمس لابن أخته : يا طرفة معك والله مثلها فقال طرفة : كلا ! ما كان ليكتب لى مثل ذلك . وسار بالكتاب حتى أتى عامل البحرين وعمان وقتل . وهذا الخبر يدلنا على ان الكتابة والقراءة كانت معروفة عند الجاهليين .

ليس هذا فحسب بل إن المعلقات كانت تكتب وتعلق على الكعبة ليقرأها كل وافد على مكة فى مواسم التجارة والأدب ، وهذا يثبت أن العرب فى الجاهلية لم يكونوا غرباء عن الكتابة والقراءة .

ولماذا نبعد كثيراً وبين أيدينا نص لا يرقى إليه الشك ولا يأتيه الباطل بأن العرب فى الجاهلية كانوا يعرفون مادة « قرأ » بمعنى التلاوة . ذلك هو خبر نزول الوحى على النبى ﷺ . فقد أجمعت المصادر العربية والإفرنجية على أن أول ما بدئ به الرسول من الوحى هو الرؤيا الصادقة . « فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » . ثم حبب إليه الخلوة والانفراد بغار حراء يخلو به الليالى ذوات العدد حتى جاءه الحق وهو فى الغار . إذ جاء الملك فقال :

ـ اقرأ . قال : ما أنا بقارئ

يعنى لا اعرف القراءة ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام أمياً لا يعرف القراءة أو الكتابة . فكررها الملك مرتين ثم قال :

ـ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

فهذا حديث نبوى شريف يقطع فى أن كلمة « قرأ » ومشتقاتها كانت معروفة عند عرب الجاهلية بمعنى التلاوة ، فلا عجب إذاً أن تكون كلمة يفتتح بها الوحى الربانى ، ويستهل بها التنزيل الآلهى هى كلمة « اقرأ » . وعلى فرض أن القرآن استعار مادة القراءة من بعض اللغات السامية الأخرى بزعم عدم العثور على هذه المادة فى النصوص الجاهلية التى بين أيدينا فهو افتراض بعيد عن الصواب وفيه كثير من المجازفة .

**وعلى ذلك فإننا نرى أن الكتاب الكريم قد استحدث كلمة القرآن استحداثاً واشتقها من كلمة « القراءة » العربية الأصل ، وعلى نحو من الاشتقاق العربى الصميم ، فكثيراً ما يأتى المفعول فى لغة العرب بلفظ المصدر ، أو الفاعل ، فتقول العرب سر كاتم أى سر مكتوم ومكان**

عامر أى معمور وعلى هذا فكلمة القرأن من قبيل تسمية المفعول بالمصدر .

حقيقة قد لا يكون هذا الاشتقاق شائعاً فى اللغة كغيره من الصيغ ، ولكنه فى حقيقة الأمر منسق الحروف منغوم النبرة ليس أجدر منه أن يكون اسماً وعنواناً وعلماً على ذلك الكتاب المعجز الخالد المنزل على النبى ﷺ والمكتوب فى المصاحف،والمنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته وقراءته .

وبعد ....

فلعنا أن نكون قد وفقنا الى إثبات عربية لفظ « القرآن » أصلاً واشتقاقاً ومعنى والله ولى التوفيق .!!!

## • أهم مراجع البحث •

( ١ ) السيوطى ، الإتقان فى علوم القرأن ، طبع القاهرة سنة ١٩٤١ .

( ٢ ) الزركشى ، البرهان فى علوم القرأن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٥٧ .

( ٣ ) ابن خالويه ، مختصر فى شواذ القراءات ، نشر بعناية المستشرق برجشتراسر ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٤ .

( ٤ ) الدكتور صبحى الصالح ، مباحث فى علوم القرآن ، طبع بيروت سنة ١٩٦٨

( ٥ ) محمد لطفى جمعه ، ثورة الاسلام وبطل الانبياء ابو القاسم محمد بن عبد الله ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٩ .

( ٦ ) محمد طه الحاجرى ، « كلمة قرأن » ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، سنة ١٩٣٦ .

( ٧ ) رابح لطفى جمعه ، القرأن والمستشرقون ، طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ .